

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

يتناول الأستاذ الباحث سيدني محمد العراقي الحسني بطريقته المعهودة في تقرير المفاهيم الصوفية وتبسيطها للشباب المتعطش للولوج في رحاب الفهم الصوفي من أيسر الطرق وأقربها للإستيعاب ، يتناول الفتح الصوفي كما بينه ووضحه الشيخ التجاني رضي الله عنه وأرضاه

الفتح الصوفي كما بينه وعاشه شيخنا أبو العباس
أحمد التجاني رضي الله عنه
محمد العراقي الحسيني

الموضوع شيق وخاص:

1. شيق لأنه يستهوي غالبية رواد التصوف سواء في جانبه العلمي أو العملي. من منا من لم تحدثه نفسه ومن من لم يتحدث مع شيخه أو مقدمه أو أخيه في السلوك حول الفتح وعلاماته ومجالاته والأسباب والطرق الموصلة إليه وحول المفتوح عليه وغير المفتوح عليه.
2. خاص لأن الفتح تجربة روحية خاصة بأصحابها المفتوح عليهم. فهو موضوع لا يصح أن يتحدث عنه إلا من خاصه. لذا سأضع معلوماتي جانبا وسأتحدث بكلام من عاشه وخاضه وحقق منازله وبينه بيان العالم العارف المتمكن وهو شيخنا وأستاذنا أبو العباس أحمد التجاني رضي الله عنه.

ما هو الفتح الأكبر أو الفتح عند الصوفية ؟
يجب شيخنا أبو العباس أحمد التجاني رضي الله عنه هو "زوال
الحجب الحائلة بين العبد وبين حضرة القدس وهي مائة ألف حجاب
وخمس وستون ألف حجاب. وزوال هذه الحجب بأسرها هو الفتح"
ج 2/56. ويبيّن رضي الله عنه أن "حقيقة الفتح هو ارتفاع الحجب
السائلة بين العبد وبين مطالعة حقائق الصفات والأسماء، ومحق صور
الأكون من علم العبد وحسه وإدراكه وفهمه وتعقله حتى لا يبقى
للغير والغيرة وجود إلا وجود الحق بالحق للحق في الحق عن الحق.
إذا وقع هذا، برزت المعرفة العيانية بالضرورة وفاض على العبد بحر
اليقين الكلي لكن مع الصحو والبقاء" ج 2/56.

ماذا نفهم من هذا التعريف ؟

1- أن الفتح هو انتقال العبد من حالة إلى حالة. فالانتقال هو بالنسبة
للعبد لا بالنسبة للكون أو الله عز وجل. فلم يطرأ أي شيء أو تحول
على الكون بعد فتح العبد. أي أن زوال الحجب هو بالنسبة للعبد لا
بالنسبة للكون أو الله.

2- أن الحجب موجودة حقيقة لا توهما - من العبد - وعددتها 165
ألف حجاب. لكنها حجب نفسية معنوية لا وجود لها إلا في نفس
صاحبها. كالخوف مثلا لا وجود له إلا في نفس الخائف، وكالرياء لا
وجود له إلا في نفس المرائي. ولست أدرى هل العدد (165) ألف
للكثرة أم للحصر.

3- أن الفتح المعتبر عند الصوفية لا يتجزأ. فلابد من زوال كل الحجب ليتم الفتح. فليس هناك فتح جزئي أو نصفي وفتح كلي.

4- أن الشيء المحجوب عن العبد قبل الفتح ليس الكون أو النفس أو العلوم أو الله وإنما الحضرة الإلهية أي صفات وأسماء الله في تعلقها بالموجودات. فالمفتوح عليه لا يشاهد الموجودات (الكون والإنسان) مستقلة. ولا يشاهد الحضرة الإلهية انطلاقاً من الموجودات (الكون والإنسان). وإنما يشاهد الموجودات انطلاقاً من مشاهدته للحضرة الإلهية. والفرق كبير. فالذى لا يشاهد في الوجود إلا الكون فهو ضال. والذي يستدل على الحضرة الإلهية انطلاقاً من الكون عالم، والذي يستدل على الكون انطلاقاً من الحضرة الإلهية عارف.

5- أن انمحاق المكونات إنما هو اعتباري أي بالنسبة للمفتوح عليه. فلا انمحاق في الحقيقة، فالكون باق على حالته التي كان عليها. فلا تأثير للفتح في الوجود. وإنما المفتوح عليه كشخص كان أعمى فصار مبصرًا، فلا يغير انتقاله من حالة العمى إلى حالة الإبصار شيئاً في الوجود. فالفتح إذا حالة خاصة بالمفتوح عليه. ولنستمع إلى شيخنا رضي الله عنه يوضح لنا ذلك بمثال بسيط، يقول رضي الله عنه "إِنَّ الْعَبْدَ قَبْلَهُ (أي قبْلَ الْفَتْحِ) كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ انْحَصَرَ فِي بَيْتِ غَلِيظَةِ الْحَيْطَانِ وَالسَّقَفِ، لَيْسَ فِيهَا مَنْفَذٌ لِلضُّوءِ مِنَ الطِّيقَانِ لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ وَمِنْ وَرَائِهَا بَيْوَتٌ مَضْرُوبَةٌ فَوْقَهَا وَحُولَهَا (عَدُّهَا ١٦٥َ أَلْفَ بَيْتٍ) وَالْعَبْدُ مَنْحَصِرٌ فِي هَذَا الْبَيْتِ لَمْ يَرِ إِلَّا ظَلَاماً. فَإِذَا انْهَمَتِ الْبَيْوَتُ كُلُّهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً فَذَلِكَ مَثَلُ الْفَتْحِ" ج 58/2

6- أن بعد زوال الحجب (أي الفتح) تتم المعرفة العيانية أي بالمشاهدة، ويتم اليقين الكلي أي التام للشخص وهو في تمام الصحو والعقل.

7- أن الفتح يؤدي إلى المعرفة بل هو شرطها وبابها، لذا يقول شيخنا رضي الله عنه "فإن المعرفة مع الفتح متلازمان" ج 120/2.

8- أن الفتح المعتبر عند الصوفية هو

9- أن الفتح ما هو الفرق بين الفتح وبين مصطلحات صوفية أخرى ؟

1- السر : يقول شيخنا رضي الله عنه "هو فيض من الأنوار الإلهية يرد على العبد قبل الفتح. إذا سرى في ذاته وقلبه حمل الذات على طلب الحق ومتابعته ومنعها من الباطل ومتابعته عملاً وحالاً" ج 58/2 والتحقق بهذا السر هو شرط في التحقق بالفتح. يقول شيخنا رضي الله عنه "لا يرد على العبد ما ذكر من الفتح والفيض الأقدس إلا إذا ورد عليه السر المذكور قبله. وإذا لم يكن ذا سر فلا مطعم له فيما ذكر من الفتح والفيض الأقدس".

2- الفيض : يقول شيخنا رضي الله عنه "فإن تسميتها بالفتح فيه تسامح". فالفيض يرد على العبد بعد الفتح. والفيض متعدد، أوله ماء الغيب ويسمى أيضا التطهير الكامل والتطهير الأقدس والفيض الأكبر والفيض الأقدس. وبه يقع للعبد التطهير "من جميع الأخلاق والأوصاف والنعوت البهيمية والطبيعية والشيطانية مثل الكبر والعجب والرياء والتصنع والميل لغير الله تعالى وحب الدنيا ونسيان الآخرة والكذب والبهتان والخدع والملكر وحب المحمدة وبغض المذمة إلى غير ذلك من

الأوصاف والأخلاق المذمومة المذكورة في كتب أهل الشرائع الظاهرة. فعند ورود ذلك الفيض على العبد يتظاهر من جميع الأوصاف المذكورة لا يبقى فيه من الأوصاف لا قليل ولا كثير. يهدمها عيناً وأثراً. وبسبب ذلك الفيض يتصرف بأضداد الصفات الممحوّة من صفات الملائكة والروحانيين والنبيين، ويصير بسبب ذلك كأنه من جنس الملائكة بما فيه من حب الله ورسوله لذاته والقيام بالأداب مع الله ومحو التعلق بغير الله والزهد في كل ما سوى الله ونسيان الدنيا وأحوالها ونسيان الآخرة ونعيها والحب في الله والبغض في الله إلى غير ذلك وهي كثيرة" ج 57/2. ويقول شيخنا رضي الله عنه "متى ورد (هذا الفيض) على العبد لا يبقى من أوصافه المذمومة لا عيناً ولا أثراً أو لا يتأنى أن يرد على العبد وتبقى فيه بقية من تلك البقايا" ج 57/2. ويقول شيخنا رضي الله عنه "وما التطهير بالفيض الأقدس فإنه يأتي قهراً عن تجلٍ إلهي لا مدخل فيه للعبد. يهدم قواعد الرسوم البشرية ويخرج العبد من ملاحظته ورؤيته وإدراكاته ويلقيه في بحر فناء الفناء". "فمن أكرم بهذا الفيض يكون عارفاً بالله كاملاً وعبداً محضاً خالصاً، وأدرك بسبب ذلك التجلي الأكبر الذي لا حد له ولا غاية وأحاط العبد بعينه وعرف بسبب ذلك وجود الدنيا والآخرة ولماذا وجدت وماذا يراد بهما" ج 58/2.

ثم بعد التطهير يفاض على العبد علوم وأسرار وأنوار و المعارف ... وكلها تسمى فيضاً أو فيوضات تمكن العبد من التتحقق بالمعرفة. فالمعرفة إذن شرطها الفتح وتحصل بعده وبعد الفيض. فالفتح انجلاء

الحجاب عن عين الروح كما يقع انجلاء الظلام عن عين البصر بطلع الشمس. والمعرفة تتم بورود العلوم والأسرار والمعارف والفهم ... وله قال شيخنا رضي الله عنه "المعرفة مع الفتح متلازمان متغايران" ج

.120/2

والترتيب يكون كالتالي :

السر أولا ثم الفتح ثم الفيض الأقدس (أي التطهير) ثم فيض العلوم والأسرار والمعارف والفهم والأنوار (أي المعرفة) ثم اليقين الكلي ويكون مع الصحو والبقاء.

يتضح لنا من هذا الترتيب أن هناك سرا قبل الفتح وسرا أو أسرارا بعد الفتح. أما السر الذي قبل الفتح فهو انفصال الحب والتعلق بالله في قلب العبد يدفعان العبد إلى ربه دفعا لا يختلف عنه وهي "إني ذاهب إلى ربى سيهدين" "وعجلت إليك رب لترضى". فمن بقي فيه تردد بين التعلق بالله وتعلقات نفسه فليس بصاحب سر. ولن يتحقق بالفتح. فالسر قبل الفتح هو إرادة وعزمية خارقة وليس بالضرورة تخلق. فالتلخلق يكون بعد الفتح.

أما الأسرار بعد الفتح فهي كثيرة :

- منها ما يقذفه الله في قلب العبد من الفهم.
- ومنها ما يعرف العبد بما يريد الله في تصاريف الأكون (لماذا وجد الكون وما يراد منه وما ينشأ عنه ...).

- ومنها ما يخرج العبد عن دائره حسه ويغرقه في بحر حضرة الألوهية فيسمع هناك ويشهد ما لا طاقة للعقل بفهمه.

3- الكشف : قبل الفتح أي في الفترة التي يرد السر فيها على العبد قد يكرمه الله بالكشف. والكشف لا يكون في الإلهيات بل في الكونيات فقط. وهو افتتاح جزئي ومؤقت على الكون أو النفس أو المجتمع. فما يتعلق بالإلهيات يسمى معرفة في حق المفتوح عليه. يقول شيخنا رضي الله عنه "أما ما كان قبل هذا (أي الفتح) من مشاهد غيوب الأكون وظهورها للعبد فإنه يسمى كشفا ولا يسمى فتحا ولا معرفة" ج

.120/2

تبين لنا مما مضى :

- أن العبد يتحقق قبل الفتح بشيئين : بالسر وبالكشف. أما السر فهو تعلق شديد بالله لا ينفك عنه. وأما الكشف فهو مشاهدة - جزئية ومؤقتة - للأكون وللأنفس لا لله.
- أن الفتح هو زوال الحجب عن الحضرة الإلهية بالقهر الإلهي لا بتعمل العبد. وله علامات كما سمعنا وكما سنرى.
- أن بعد الفتح يفيض الله على العبد فيضا قدسيا يظهره من الأخلاق الذميمة ويحليه بالأخلاق الفاضلة. ثم بعده يقذف في قلبه من المعارف والأنوار والعلوم (وهو المعرفة)، ثم بعده يقذف في قلبه من الأسرار يرتقي فيها باقي حياته وهي الترقيات.

• إن كل ما يرد من الله على العبد بصورة قهرية أو جمالية يسمى واردا، فإذا تكيف بالعبد واختلط به سمي حالا له.

• إن المعرفة تسمى "رسوخ الروح في العلم" وهي "التي يشهد العبد فيها نفسه عين كل شيء وكل شيء عينه مما اتصل أو انفصل إجمالا وتفصيلا" ج 293. ولنتتبه لقول شيخنا رضي الله عنه يشهد أي مجرد شهود لأن العبد صار عين الأشياء المشاهدة. فلا اتحاد ولا حلول. لكنه شهود (أي مشاهدة) الروح (أي مشاهدة تعطي يقينا) لا شهود فكر (يعطي تخمينا).

• إن الفتح لا يثبت إلا بعد أن يشاهد العبد النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما، ويجتمع به، وهو اجتماع بهيئة خارقة للعادة. كيف نعرف المفتوح عليه من غير المفتوح عليه ؟ تعالوا نستمع إلى كيفية وقت وقوع الفتح لشيخنا رضي الله عنه كما حكى ذلك في رسالته المشهورة لصاحبه ورفيقه في السلوك والعلم السيد محمد بن عبد الله الجيلاني. قال رضي الله عنه "واعلم أنهم لو سألوني وقالوا لي من أين لك هذا ؟ لقلت من عند الله فإن قيل لي أبوحني أو برؤيه أو بهاتف ؟ لقلت دفعت في ابتداء أمري إلى الحضرة الربانية دفعة واحدة منذ أنا يافع". كشف الحجاب 295. ولنتوقف مع أقواله رضي الله عنه. إن الفتح ليس وحيا ولا رؤيا ولا هاتفا. وإن اندفاع الشيخ رضي الله عنه في ابتداء أمره هو السر الذي يكون قبل الفتح. ثم يحكى رضي الله عنه كيف وقع له الفتح في مسجد بفاس وهتف به هاتف ثم سمع صوتا وكلاما يتوقع من جميع أعضائه ومن كل ناحية

ثم نظر إلى الجهات الست فوق نظره على اسمه مكتوبا في عالم الملوك العلوي "ثم فتح الله بصيرتي في الحال فرأيت بعيني رأسي الرجل الذي لا يتحمل كلامه الكذب فدنا مني وأخذ بعضاي الأيمن وأوقفني ووكلني بيده اليسرى بين ثديي. وقال لي أنت من أمثال الصحابة فحدث ولا حرج" ك/295.

ولابد من الإشارة إلى حال الشيخ رضي الله عنه قبل الفتح، فلم يكن يموه على نفسه ولا على غيره، تعالوا نستمع إليه يجيب رفيقه في السلوك والعلم السيد محمد الجيلاني بصرامة غريبة "إنك كتبت إلى تسلّني عن العلوم الباطنة غير العلوم الرسمية. فاعلم أن ذلك ما عندي منه لا قليل ولا كثير وما لي إليه سبيل، فإنه متوقف على شروط لم أحظ بواحد منها. وإنني الآن ما زلت على الحالة التي تعهدني عليها لم أنتقل عنها" كشف الحجاب/293. فالشيخ كان حينه منورا وصاحب علوم وأخلاق وأسرار لكنه يميز جيدا بين ما عنده وبين ما يعطيه الفتح.

تبين لنا مما سبق أن للفتح علامات واضحة :

- منها التطهر من الأخلاق الرذيلة والاتصاف بالأخلاق الحميدة.
- مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم يقظة والمجتمع به.
- معرفة الله المعرفة اليقينية ومعرفة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وسناته وأوصافه وكمالاته.

- مشاهدة الكون في علاقته مع الله أي كأثر ومحل للتجلی الإلهي (تجلی الصفات والأسماء) لا بمعزل عن الله وهو ما يسمى بالتحقق بالعقل الرباني لا الكلي ولا البهيمي. فيتحدث عن الكون لا اعتمادا على معلوماته العلمية أو الجغرافية أو الفلكية ولكن اعتمادا على معرفته بالله.

كيف الوصول إلى الفتح ؟

يجيب الصوفية. إن الطالب للفتح هو أحد شخصين :

- 1- شخص تحقق بالسر الذي هو شرط للفتح والذي كما سبق ذكره هو ما يقذفه الله من التعلق به. وهذا مؤهل للفتح.
- 2- شخص لم يتحقق بالسر، أي غير مؤهل للفتح. فهذا يتبعه أن يدخل أولاً في سلوك يمكنه من التتحقق بالسر. وهذا السلوك يتمثل في ثلاثة أمور :

♣ التخلق بأخلاق النبوة. قال صلی الله عليه وسلم "استحيوا من الله حق الحياة قالوا نستحيي والحمد لله قال ليس ذلك كذلك. ولكن الحياة أن تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى وتذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياة". ج

.59/2

♣ دوام معانقة الذكر بتلقين شيخ واصل لا الذي يأخذه العبد

باختياره.

♣ الاستناد إلى شيخ كامل.

يقول شيخنا رضي الله عنه "فإن بدوا مه على هذه الأمور يصل العبد إلى أن يناله السر الرباني الذي بسببه يصل إلى التطهير الأكبر". ج 60/2. ونلاحظ أن الطريقة التجانية تعتمد الطريقتين معا. فيها أصحاب الأسرار المؤهلون للفتح كأمثال سندي سيدى الأحسن البغىلى رضي الله عنه وسيدى محمد النظيفي رضي الله عنه. وغالب المنتسبين مندرجون في التصنيف الثاني الملائم بالتلخق والذكر والارتباط بالشيخ. وبهذا نفهم معنى ضمان الفتح للمنتسبين إلى الطريقة التجانية. وقد حدد الصوفية الطريقة إلى الفتح والعلم الخاص به وسموه "العلم الرياضي" الذي يتضمن تسع محطات عرضها شيخنا :

1- معرفة تعديل المزاج وهي لزوم طريق الاعتدال في الأكل والشرب من غير إفراط ولا تفريط ثم النظر في الوقت والبلد والسن ثم مقابلة كل بما يقويه عن الانحراف.

2- معرفة غاية المقصود وهي رفع الحجاب عن "الروح الرباني" ورده إلى حالة الصفاء التي كان عليها قبل التركيب في الجسد.

3- معرفة كيفية السعي إليه وهي متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم بإقامة حقوق الله عز وجل مخلصا لله وأن يكون ذلك تعظيم وإجلالا لله تعالى.

4- معرفة الحجاب القاطع عن المطلوب وهي غرق الروح في بحر الحظوظ والشهوات.

5- معرفة كيفية زوال هذا الحجاب وهو السعي في قطع الحظوظ والشهوات بالزهد فيها بالكلية لكن برفق ولطف.

6- معرفة أصول الحجاب وهي كثرة الأكل والشرب وملاقاة الخلق وكثرة الكلام وكثرة المنام ودوام الغفلة عن ذكر الله.

7- الجد في قطع أصول الحجاب بالجوع والعطش بالرفق ودوام الانقطاع عن ملاقاة الخلق ودوام الصمت مطلقاً ودوماً السهر بالرفق ومداومة ذكر الله بالقلب واللسان وقطع الفكر في المحسوسات.

8- معرفة الأمور التي بها زوال الحجاب كلية أو تفصيلية فهو دوام ذكر الله بالقلب واللسان دائماً. والأذكار نوعان كليات وهي التي تقطع كل حجاب عن الروح من أي أمر كان وتفاصيل وهي التي لا تقطع إلا حجاباً من نوع واحد. أما الكليات كلاماً إله إله والصلة على رسول الله. وأما التفصيليات فهي سائر الأسماء الحسنة.

9- سل سيف العزم وركوب جواد المجاهدة وهو الإرادة النافذة غير المتعددة.

ونفهم من كلام شيخنا رضي الله عنه أن الطريق إلى الفتح طريق منضبط وسنة الله في خلقه لا تتغير ولا تحابي أحداً. فمن طلب الفتح بغيره لن يتحقق به أبداً. يقول رضي الله عنه في جوابه لخليفته سيد علي حرازم رضي الله عنه الذي طلب أموراً منها الفتح : "واعلم أن ما

تطلبه له أجل ومقدار إذا جاء وقته جاء ولا يت Urgيلك.
ولو رمت الخروج عما أنت فيه إلى تنوير القلب وصفائه فاذهب
وانقطع عما سوى الله في مكان لا ترى فيه أحداً وألزم نفسك إخراج
مرادك من كل ما سوى الله واستغرق أوقاتك في الذكر المفرد تر العجب
من تمكين الصفا. فإن لم تساعفك نفسك على هذا، فاعلم أن مراد الله
منك ما ذكرنا واترك عنك ما يتقلقل في قلبك من مطالب لا نسبة لها
فيك إلا نسبة نقاوصها:

لقد رمت الحصاد بغير حرش
يغوص البحر من طلب اللايء
وهذا القدر كاف إن فهمت" كشف الحجاب/89.
ما هي مجالات الفتح؟

خلال عرضنا اتضحت لنا المجالات التالية للفتح :

- الفتح كحالة وكمستوى أعلى للتنوير illumination. فالمفتوح عليه في أعلى مستويات اليقين والثبات والرضا والاطمئنان النفسي والروحي. فهو على علم تام ومعرفة بربه وبعلاقة الله بالكون أي بمراد الله فيه.

- الفتح كمصدر للمعرفة قائم على الفيض والإلهام والكشف والسر والرؤيا. وهو مصدر نازل من الحضرة الإلهية إلى المفتوح عليه. مصدر يخوله ثقة كاملة بمعلوماته وبآرائه وبخواطره ويجعل له هيمنة معرفية على غيره ممن له مصدر للمعرفة صاعد (بالتجربة أو بالنقل).

- الفتح كمؤهل أسمى في مجال الدعوة إلى الله. فالمفتاح عليه يرى نفسه أشد الناس تأهيلاً للدعوة لأنَّه مأذون فيها بخلاف غيره.
- الفتح كسلطة وجودية خفية. فالفتح يؤهل إلى دخول ديوان الأولياء أي ديوان التصريف. وبالتالي يجعل لصاحبِه سلطة روحية حقيقة. بل قد يصير هو رأس المملكة الروحية إذا صار قطباً جاماً.
- الفتح كسلطة معنوية.
- فالمفتاح عليه صاحب بركة ودعاة ومستجاب وفراسة نافذة وكشف صحيح. مما يجعله مقصد الطالبين وذوي الحاجات بل قد يخافه أصحاب السلطات المخزنية والمادية ويسعون في التقرب منه.
- الفتح كسلطة اجتماعية. المفتاح عليه امتداد في طريقة صوفية له أتباع ورداد وتلاميذ يعتبرونه سندَهم وقوتهم. فهم له حماة ورعاة مادياً واجتماعياً.
- الفتح كقيمة أخلاقية سامية. المفتاح عليه هو صاحب أخلاق ربانية وشمائل نبوية. يمثل في زمانه قيمة أخلاقية يحتدي بها.
- الفتح كأسلوب تربوي انتقائي مدرسة للنوابغ. فالمفتاح عليه هو واحد تمكَّن من النجاح ومن الوصول بين الآلاف من طلاب الفتح ومن المنخرطين في الميدان الصوفي. كم لدينا من أمثال سendi الأحسن البعييلي وسendi الحسين الإفرااني رضي الله عنهمَا.
- والداخل في سلك الفتح هو شخص متفرغ تماماً لا شغل له ولا عمل إلا السلوك. فالسالكون للفتح هم أشخاص مهمشون خارجون عن النمط الاجتماعي المعمول به حتى يتخرجوا. ثم بعده قد يعودوا إلى

مزاولة دور اجتماعي وقد لا يعودوا.

هل فعلاً للفتح وجود في كل هذه المجالات التي قدمنا ؟

نعم هناك فئة من الناس - من رواد التصوف ومن غيرهم - تعتقد في المفتوح عليه معتقدات خطيرة وقد يخشى على أصحاب هذا الاعتقاد السقوط في الإشراك بالله أو على الأقل في قلة الأدب مع الله حيث ينسبون لغيره ما لا يليق إلا به سبحانه.

وقد كتب الكثير حول هذه المجالات وتبيان ما يلي :

• أن كل إلهام وكشف وسر ورؤيا وإلهام مناقض لما صح وثبت في الشرع هو باطل. بل وإذا ناقض ما صح وثبت بالعلم التجريبي باطل. فلم التشبت بمصدر للمعرفة لا قوة له ولا اعتبار له إلا بعد أن يذكره الشرع والعقل.

• أن التصريف الصوفي مندرج في قانون السبيبية الكوني لا يتختلف عنه أبداً. وإن الأمر بالنسبة للرأي مجرد شهود لسنن الله في الكون. "وما فعلته عن أمري". فلا تصرف في الوجود إلا الله سبحانه.

• إن الدعوة إلى الله لم تكن أبداً بقوة الفتح والولائية. بل كانت بقوة العلم والأخلاق والذكاء الاجتماعي وحسن المعاملة ومنهج الدعوة.

فمولانا الشيخ التجاني رضي الله عنه لم ينشر طريقته بقوة الفتح. فقوة الطريقة ليست في الضمانات ولا في البشارات وإنما في سنيتها ونجاحها في بناء شخصية مسلمة من طراز رفيع سواء بفتح أو بغير فتح. بل إن الطريقة التجانية أعلنت أن منهجها ليس منهج الفتح - الذي هو الطريقة الثانية - وأعلنت أن طريق الفتح طريق مندرس وبقي منه

الصحابة القائم على العبودية لله.

هل من حاجة إلى الفتح اليوم ؟ هل يمكن للفتح أن يجيب متطلبات
و حاجيات المسلم المعاصر وإنسان القرن 21 ؟

جوابي وقناعتي : لا. ودعوتي تتمثل في الرجوع إلى الطريق التجانية في
قوتها التربوية الأخلاقية التي جعلت منها منارا للإسلام في إفريقيا وآسيا
وفي العالم.

محمد العراقي الحسيني

ذو القعدة 1430 - أكتوبر 2009